الباب الثاني

فلسطين أمانة في أعناق المسلمين

فلسطين بقعة مباركة ، بل هي من أقدس البلاد وأشرفها ، ولها في قلوب المسلمين جميعاً مكانة سامية .

ولا تخفى مكانة فلسطين في الكتاب والسنة على كل من له إلمام بالعلوم الدينية والدراسات الإسلامية ، فيعرف حتماً ـ من غير شك ولا ريب ـ أن فلسطين جزء من بلاد الإسلام وفيها المسجد الأقصى المبارك الذي شرّفه الله تعالى بالتقديس ، وجمع فيه الأنبياء ليلة الإسراء والمعراج تكريماً لنبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام ، قال تعالى : ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء: ١) .

إذاً فما حول المسجد الأقصى من البلاد ، قد بارك الله فيه ، وسر هذه البركة أن تلك الأرض هي مهبط الرسالات السماوية ، ومهد الكثير من الأنبياء والمرسلين ، وأفضلها «القدس» حيث المسجد الأقصى أولى القبلتين ، وثاني المسجدين ، وثالث الحرمين الشريفين ، ومسرى نبينا ومعراجه .

إن الواجب على الأمتين العربية والإسلامية مساندة الشعب الفلسطيني الذي يتعرض لهجمة شرسة أصابت الأرض والإنسان والمقدسات ، حيث إن سلطات الاحتلال تعمل على طمس الطابع العربي الإسلامي لفلسطين ، ومحو معالمها التاريخية والحضارية ، لتصبح دولة يهودية ، حيث نرى في كل يوم جرافات الاحتلال تدفن جزءاً من تراثنا ، كما تتهيأ معاول الهدم لتقويض جزء جديد من مقدساتنا ، كما يجب على كل الأيدي الشريفة أن تمتد لنصرة القدس في محنتها ، ولوقف جرافات الاحتلال من الاستمرار في تدمير قرانا ومدننا ، وارتكاب المجازر بحق أبناء شعبنا ، وضرورة دعم المرابطين في بيت المقدس ، وأكناف بيت المقدس للحديث : «لا تزال طائفةٌ من أمتي على الدينِ ظاهرين لعدوهم قاهرين لا يضرُّهم مَنْ خالفهم إلاّ ما أصابَهم من

لأُوَاء حتى يأتيهم أمرُ اللهِ وهم كذلك ، قالوا : وأين هم ؟ قال : ببيتِ المقدسِ وأكنافِ بيتِ المقدس»[1]، فالمسجد الأقصى والقدس في أمس الحاجة إلى أي جهد يميط اللثام عما يجري من أعمال بشعة بحق القدس وفلسطين وتراثها وأهلها ، والتي تشكل إهانة للإنسانية ووصمة عار في جبينها .

فلسطين الحبيبة تناديكم ، والقدس تناديكم اليوم للتأكيد بأنها عاصمة دولة فلسطين ، ولتطبيق العدالة في أعدل قضايا الدنيا ، قضية فلسطين ، وقضية شعب فلسطين ، وحقه في العودة إلى وطنه ، وحق تقرير مصيره ، وخروج الأسرى والمعتقلين ، وقيام دولة فلسطين وعاصمتها القدس الشريف .

فلسطين تقول لكم : سوف يتراجع الظلم ، وينهزم الأعداء ، فالليل مهما طال فلا بد من بزوغ الفجر ، وإن الفجر آتٍ بإذن الله رغم أعداء شعبنا كلهم .

* * *

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٢٦٩/٥ ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٨٨/٧ .

الفصل الأول

فلسطين محط أنظار المسلمين

عاشت بلادنا فلسطين ظروفاً احتلالية متعاقبة ، حيث كانت تدين بولائها إلى الروم والبيزنطيين تارة ، وللفرس تارة أخرى ، فتعاقبت عليها قبل الفتح الإسلامي هاتان الدولتان الحاكمتان ، وكانت الدولة الفارسية تدين بالديانة غير السماوية (المجوسية) ، ويدين الروم والبيزنطيون بالنصرانية ، أما أهل البلاد الفلسطينيون فكاد السواد الأعظم منهم لا يمت إلى إحدى هاتين القوتين بصلة.

فمنذ بزوغ الدعوة الإسلامية ظهر التوجه الأول للرسول ﷺ حيث أخذت نفسه تتوق إلى هذه البلاد ، فكانت بواكير توجهاته وهو ما زال في المراحل الأولى من نشر دعوته إلى هذه البلاد ، فقد أُسْرِىَ به من مكة المكرمة إلى بيت المقدس وعُرِج به إلى السموات العلا ، وقد ورد ذكر هذه البلاد وقدسيتها وكرامتها في قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء: ١) .

فقد تم الربط بين مكة وبيت المقدس ، وقد ذكرت بركة هذه البلاد في العديد من الآيات القرآنية ، حتى أن بعضاً من أهل هذه البلاد عندما وصل إلى مسامعهم خبر بزوغ الدعوة الإسلامية طاروا إليها ، وأعلنوا إسلامهم وكان على رأس هؤلاء المسلمين تميم بن أوس الداري اللخمي الذي كان يعيش في مدينة خليل الرحمن .

ونلاحظ عندما نمعن النظر في تاريخ فلسطين بأنه يجب التأكيد على أن ارتباط المسلمين بهذه البلاد ينبثق من مكانتها المقدسة والمباركة ، ومن الخصائص التعبدية والعقدية التي تنتمي إلى العقيدة الإسلامية ، كونها أرض الإسراء والمعراج ، وكونها تشمل بيت المقدس الذي تجسدت مكانته في نصوص قرآنية وأحاديث نبوية وردت بشأنه ، كما تجسدت بوقائع مادية وأحداث تاريخية ، تثبت أن البلاد بجميع مناطقها أرض إسلامية خالدة ، مهما طال احتلالها .

ومما يعزز قدسية هذه البلاد ، أن يأتي النص صريحاً في الوقف الإسلامي الأول في فلسطين ، الذي أوقفه الرسول ﷺ في مدينة الخليل (حبرون) على تميم الداري وإخوته(وهم من لخم) ، وذلك كبشارة نبوية إعجازية تؤكد على هوية فلسطين الإسلامية ، قبل فتحها في عهد الخليفة عمر بن الخطاب وهذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أنطى[1]، محمد رسول الله لتميم الداري وإخوته حبرون والمرطوم وبيت عينون وبيت إبراهيم وما فيهن نطية بت بذمتهم ، ونفذت وسلمت ذلك لهم ولأعقابهم ، فمن آذاهم آذاه الله ، فمن آذاهم لعنه الله ، شهد عتيق بن أبي قحافة ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان ابن عفان ، وكتب علي ابن أبي طالب وشهد »[2] .

من هنا ندرك بأن أرض فلسطين كانت محط أنظار المسلمين منذ بزوغ الرسالة الإسلامية ويتجلى ذلك فيما يأتي :

---

(١) أنطى : أعطى بلغة أهل اليمن .

(٢) انظر النصوص بصيغها المختلفة ورواياتها وتحقيقاتها في : محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة(بيروت : دار النفائس)١٩٨٧ ط٦،ص١٣٠ ، ١٣١ .

أ ـ عهد الرسول ﷺ :

نستطيع القول إن التوجه نحو تحرير بيت المقدس في عهد رسول الله ﷺ بدأ حينما :

● بعث رسول الله ﷺ بكتابه إلى هرقل ملك الروم وهو في بيت المقدس . وكان آنذاك يحتفل بالنصر على الفرس عام ٦٢٨م الذي يوافق تماماً أواخر السنة السادسة أو أوائل السنة السابعة للهجرة ، وقد ذكر الإمام البخاري أن رسول الله ﷺ كتب إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام بعد العودة من الحديبية[١] .

● كما بدأت أنظار المسلمين تتجه نحو تحرير الأقصى وفلسطين منذ حادثة الإسراء حيث فرضت الصلاة ، وصار المسجد الأقصى قبلة المسلمين ، وقد تَعرَّفَ المسلمون على منزلة بيت المقدس في عقيدتهم ، بعد أن أدركوا معنى الربط بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى .

● ومنذ السنة الخامسة للهجرة بدأ رسول الله ﷺ ببعث السرايا على الطريق بين المدينة والشام .

ـ في شهر ربيع الأول من السنة الخامسة كانت غزوة دُومة الجَنْدل[٢]، وهي مكان على بعد (٤٥٠) كيلو متراً شمال تيماء[٣] .

ـ وفي السنة السادسة بعث رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف على رأس سرية مرة أخرى إلى دُومة الجَنْدل .

ـ وفي شهر المحرم من السنة السابعة كانت غزوة خيبر لأن يهودها كانوا يهددون الطريق إلى الشام[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الوحي ٣٢/١ رقم الحديث ٧ .

(٢) دومة (بضم الدال وتفتح) من أعمال المدينة ، وبينها وبينها خمس عشرة ليلة وبينها وبين دمشق خمس ليال، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين لمحمد الخضري بك ص ١٤٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط٥ .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٤،٣ / ٢١٣ .

(٤) المرجع السابق ص٣٢٨ .

- وفي ربيع الأول من السنة الثامنة كانت سرية كعب بن عُمَير الغفاري إلى ذات أطلاح من ناحية الشام وهو في منطقة وادي عربة[1] .

- وفي جمادى الآخرة من السنة الثامنة نفسها كانت غزوة ذات السلاسل بقيادة عمرو بن العاص[2] .

- وفي نفس السنة كانت سرية زيد بن حارثة إلى حدود فلسطين[3] .

● أمَّا ما كان من غزوة مؤتة والتي حدثت في جمادى الأولى سنة ثمان للهجرة ، فإن الرسول ﷺ بعث إلى الشام جيشاً قوامه ثلاثة آلاف وذلك في سنة ثمان للهجرة وعلى رأسه زيد بن حارثة ، وقد وصى رسول الله إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب يتسلم قيادة الجيش فإن أصيب يتسلم مكانه عبد الله ابن رواحة ، وقد واجه الثلاثة آلاف مسلم جيشاً للروم قوامه مائة ألف ، وانضم إليه مائة ألف فأصبحوا مائتي ألف مقاتل ، فاحتار المسلمون في أمرهم ودارت معركة غير متكافئة ، فاستشهد القادة الثلاثة حتى تسلم الراية خالد ابن الوليد فانحاز عن الحرب ، وقفل راجعاً إلى المدينة بعد أن كاد يفنى جيش المسلمين ، وقد حدثت معركة مؤتة قبل فتح مكة لتؤكد للمشركين قوة روح الإسلام ولتؤكد أيضاً أن أرض الشام وبيت المقدس لها من الأهمية ما يدفع رسول الله ﷺ لبعث الجيوش إليها ومقارعة الروم كمقدمة لتحريرها[4].

● أما ما كان من غزوة تبوك في شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة فقد ذكر ابن هشام في سيرته أن رسول الله ﷺ أقام بالمدينة ما بين ذي الحجة إلى

---

(١) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين - محمد الخضري بك - دار الكتب العلمية - بيروت طـه ص٢٠١ .

(٢) بيت المقدس والمسجد الأقصى ، أ . محمد شراب ص٧٦ .

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ٣،٤/ ٣٧٣ .

رجب ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم ، وقد كان العام عام عسرة وشدة من الحر وجدب في البلاد ، وكان رسول الله ﷺ قَلَّمَا يخرج في غزوة إلا كنى عنها ، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يَصْمِدُ له ـ[1] إلا ما كان من غزوة تبوك ، فإنه بَيَّنَها للناس لبُعْد الشُّقَّة [2]، وشدة الزمان ، وكثرة العدو الذي يصمد له ، ليتأهب الناس لذلك أُهْبَتَه ، فأمر الناس بالجِهاز وأخبرهم أنه يريد الروم[3]، لكنه لم يصطدم معهم في حرب ، إلا أنه أخضع بعض المناطق ، فمن النصارى من دفع الجزية ولم يقاتلوا ، وعاد رسول الله ﷺ وكان يأمر ببناء مسجد في كل منطقة يمر بها ، وقد كان الجيش الإسلامي يتكون من ثلاثين ألف مقاتل لملاقاة الروم الذين حاولوا أن يكفوا يد المسلمين عن بيت المقدس ، ولكن الروم آثروا عدم مجابهة المسلمين في الميدان .

● وفيما بعد ضرب رسول الله ﷺ بعثاً إلى الشام وَأَمَّر عليهم أسامة بن زيد ابن حارثة ، وكان ذلك في السنة الحادية عشرة للهجرة ، وأمره أن يُوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين ، فتجهز الناس وأرسل مع أسامة بن زيد المهاجرين الأولين[4] .

ب - عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

لقد أولى الخليفة الراشد الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه جل اهتمامه لتنفيذ قرار الرسول ﷺ بإيفاد جيش يقوده أسامة بن زيد إلى الشام ، (وكانت أُولى المعارك بين المسلمين والروم في فلسطين معركة (داثن) يوم ٢٤ ذي الحجة ١٢هـ ، و(داثن) في أرض فلسطين وهي خربة (الدميثة) اليوم تقع شرقي

---

(١) يصمد : يقصد (المرجع السابق ص ٥١٦) .

(٢) الشقة : بعد المسير(المرجع السابق ص ٥١٦) .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٤،٣ / ٥١٥ ، ٥١٦ .

(٤)السيرة النبوية لابن هشام ٤،٣ / ٦٠٦ .

مدينة دير البلح وتبعد عنها خمسة كيلو مترات ، وعلى بعد ١٦ كيلو متراً جنوب شرق مدينة غزة ، وعلى بعد كيلو متر جنوب مخيم المغازي)[١] .

كما أرسل الخليفة أبو بكر الصديق عدة جيوش سنة ٦٣٣م لفتح بلاد الشام بقيادة عمرو بن العاص ، ويزيد بن أبي سفيان ، وشرحبيل بن حسنة ، وأبي عبيدة بن الجراح ، فهزم يزيد الروم في وادي عربة جنوب البحر الميت ، وتعقبهم حتى غزة في عام ٦٣٤م ، وأحرز الجيش الإسلامي الذي يقوده القادة الأربعة وانضم إليهم سيف الإسلام خالد بن الوليد ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ انتصارات كبيرة على الروم في معركة أجنادين (جنوب غرب القدس بين الرملة وبيت جبريل) في٢٧جمادى الأولى سنة ١٣هـ وفق ٦٣٤/٧/٣٠م وفتح بيسان واللد ويافا[٢]، وبعد وفاة أبي بكر الصديق ﷺ تولى الخلافة من بعده عمر بن الخطاب ﷺ .

وفي عهد أبي بكر الصديق ﷺ تم إعداد اثني عشر ألفاً لملاقاة الروم بقيادة خالد بن الوليد لفتح مدن فلسطين[٣] .

كما جدد للداريين وقفيتهم التي وقفها رسول الله ﷺ في مدينة خليل الرحمن ، وهذا نص الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم : من أبي بكر الصديق إلى أبي عبيدة بن الجراح سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد :

فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليمنع من الفساد في قرى الداريين ، وإن كان أهلها قد جلوا عنها ، وأراد الداريون أن يزرعوها ، فعلوا . فإذا رجع أهلها إليها فهي لهم وأحق منهم . والسلام عليكم»[٤].

---

(١) بيت المقدس والمسجد الأقصى ـ دراسة تاريخية موثقة ، أ محمد شراب ص ٧٨ .

(٢) قبل الكارثة نذير . . ونفير ، أ . عبد العزيز بن مصطفى كامل ، ط٢ ، سنة١٤٢١هـ وفق ٢٠٠١م، المنتدى الإسلامي لندن ص ١٢١ .

(٣) التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، د . أحمد شلبي ط سنة ١٩٧١م ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

(٤) انظر النصوص بصيغها المختلفة ورواياتها وتحقيقاتها في : محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة (بيروت : دار النفائس)١٩٨٧ ط٦،ص١٣٢ ، ١٣٣ .

جـ ـ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

وفي عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فُتحت مدينة القدس ، حيث تسلم رضي الله عنه مفاتيحها من بطريرك الروم صفرونيوس وكان ذلك في سنة ١٥هـ وفق٦٣٦م ، وأبقى رضي الله عنه أهل الذمة على دينهم ، ومن المعلوم أن قائد الجيوش الإسلامية (أبو عبيدة عامر بن الجراح) ـ رضي الله عنه ـ لما حاصر الرومان في مدينة القدس ، واتفق معهم على الصلح ، اشترط أهلها أن يكون المتولي للعقد هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث يتولى بنفسه استلام المفاتيح ، فقبل قائد الجيش أبو عبيدة ذلك وكتب إلى عمر رضي الله عنه :

(بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عمر أمير المؤمنين ، من أبي عبيدة ابن الجراح سلام عليك ، فإنني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو ، أما بعد :

فإنا أقمنا على أهل إيلياء ، فظنوا أن لهم في مطاولتهم فرجاً ، فلم يزدهم الله بهذا إلا ضيقاً ونقصاً وهزالا وذلاً ، فلما رأوا ذلك ، سألوا أن يقدم عليهم أمير المؤمنين فيكون هو الموثوق لهم ، والكاتب ، فخشينا أن يقدم أمير المؤمنين ، فيغدر القوم ويرجعوا ، فيكون مسيرك ـ أصلحك الله ـ عناء وفضلاً ، فأخذنا عليهم المواثيق المغلظة بإيمانهم ليقبلن وليؤدن الجزية ، وليدخلن فيما دخل فيه أهل الذمة ، ففعلوا ، فإن رأيت أن تقدم فافعل ، فإن في مسيرك أجراً وصلاحاً ، أتاك الله رشدك ، ويسر أمرك ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته)[1].

واستشار عمر رضي الله عنه أصحابه ، وتوكل على الله ، وسار برعاية الله وحفظه ، حتى وصل إلى مشارف مدينة القدس ، فلما تراءت له مدينة القدس أخذ يكبر شكراً لله عز وجل ، فَسُمِّيَ الجبل بالمكبر ولا زال هذا الحي (حي جبل المكبر) أحد أحياء مدينة القدس إلى يومنا هذا .

---

(١) انظر الواقدي ، فتوح الشام ، ١٥٨/١ ، ومجير الدين الحنبلي ، الأنس الجليل ، ٢٤٩/١ ، ٢٥٠ .

وكانت العهدة العمرية التي تمثل تسامح المسلمين مع غيرهم ، ونصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبد الله : عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ، أنه لا تسكن كنائسهم ، ولا تهدم ، ولا ينقص منها ، ولا من خيرها ، ولا من صلبهم ، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود .

وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن ، وعليهم أن يُخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم ، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من أهل الأرض ، فمن شاء منهم قعد ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، و من شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصدوا حصادهم .

وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين ، إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية .

شهد على ذلك :

خالد بن الوليد وعمرو بن العاص

وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبى سفيان

كتب وحضر سنة خمس عشرة للهجرة[1]

---

(١) إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى لمحمد بن شهاب الدين السيوطي تحقيق دكتور أحمد رمضان أحمد ـ مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥جـ٢ ، ص١٧٥ ـ ١٧٦ .

إن العهدة العمرية تمثل لوحة من التسامح ، وتدل أبلغ الدلالة على مدى تسامح الفتوحات الإسلامية ، والفاتحين المسلمين ، بل تدل أبلغ الدلالة على أصالة التسامح الإسلامي من جانب ، وتدل على المكانة التي تتبوؤها القدس من جانب آخر ، ولعل التاريخ لا يذكر إلى جانب صفحة هذه الوثيقة صفحة أخرى من تسامح الأقوياء المنتصرين مع المحاصرين المستسلمين على النحو الذي ترد عليه بنود هذه الوثيقة .

وقد التزم المسلمون بكل شروط الوثيقة نصاً ومعنى ، واعتبر المسلمون شروط هذه الوثيقة واجباً دينياً التزم به خليفتهم الراشدي العادل عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، فالعهدة العمرية أُعطيت عن رضا وطواعية من المسلمين ، نظراً لمكانة القدس في نفوسهم ، ولم تكن عملاً حربياً اضطر المسلمون إليه .

إن العهدة العمرية تدل على طبيعة الأخلاق الإسلامية ، وعلى العدالة التي كانت شعار القادة المسلمين على مر العصور ، وعلى التسامح الإسلامي الذي ينبع من موقف القوة لا موقف الضعف ، ومن الناحية القانونية فإن هذه الوثيقة تقرر حقوق الإنسان قبل أن يعرف العالم هذه الحقوق ، وقبل أن يعرف مبادئ القانون العام ، وإذا تتبعت تاريخ القدس ، فلا تكاد تجد فيها انقطاع فعالية الروح الإسلامية المتسامحة العادلة .

ولم يتعرض تاريخ القدس لأحداث دموية واضطهاد ديني منذ الفتح الإسلامي إلا في تلك الفترة التي استولى فيها الصليبيون (الفرنج) على بيت المقدس (٤٩٢-٥٨٣هـ) (١٠٩٩-١١٨٧م) ، وهي فترة شغلت من هذا التاريخ نحو تسعين سنة ، وعلى نقيض العهدة العمرية التي فرضت السلام والأمن ، وحققت العدل والرعاية والحق لكل من وجدهم الإسلام في بيت المقدس .

ونلاحظ هنا كيف أن عمر ﷺ هو الذي سافر بنفسه من المدينة المنورة إلى مدينة القدس ليتسلم مفاتيحها ، ومعروف أن السفر وقتئذ كان مشقة كبيرة إذ كانت الإبل هي وسيلة التنقل التي ترهق المسافر العادي فكيف بأمير المؤمنين ـ رأس الدولة المسلمة يخرج بنفسه مسافراً هذه المسافة الكبيرة الشاقة من المدينة المنورة إلى بيت المقدس ليتسلم بنفسه مفاتيح المدينة .

وكان بوسعه وهو أكبر رأس في الدولة الإسلامية المنتصرة أن يرفض شروط المهزومين وينيب عنه القائد الذي تحقق الفتح على يديه وهو أبو عبيدة بن الجراح الذي كان لقبه في الإسلام « أمين الأمة » .

لكن عمر أدرك ببصيرته الملهمة أن البقعة المباركة التي كان إليها مسرى الرسول ﷺ ومنها معراجه جديرة بالإجلال والتقدير ، وأن المشقات التي يتحملها رأس الدولة المسلمة هي بعض ما ينبغي أن يكنه المسلمون من إجلال وإعزاز للقدس وفلسطين والتي كرمها القرآن الكريم وكرمها الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، وبعد هذه الأحداث تم للمسلمين تطهير جميع بلاد فلسطين من الرومان ودخل الناس في دين الله أفواجاً .

لقد بشر الحبيب ﷺ المسلمين بفتح بيت المقدس وفلسطين حيث تم ذلك خلال غزوة تبوك في العام التاسع للهجرة كي يبعث الأمل في نفوس المسلمين وهم في غزوة العسرة فقد جاء في الحديث الذي رواه عوف بن مالك ﷺ قال : « أتيتُ النبي ﷺ في غزوة تبوك ـ وهو في قُبةٍ من أدم ـ فقال : اعدُد ستاً بين يدي الساعة : موتي ، ثم فتح بيت المقدس[1] .

وقد يسر الله فتح بيت المقدس وفلسطين مرات عديدة بعد البعثة النبوية الشريفة فكان :

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجزية والموادعة ٢٧٧/٦ رقم الحديث ٣١٧٦ .

١- **الفتح الروحي** : وذلك في ليلة الإسراء والمعراج عندما أسري بالنبي عليه السلام من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى بفلسطين ، وقدَ صَلَّى الرسول ﷺ إماماً بإخوانه من الأنبياء والمرسلين ، فكانت الإمامة رسالة بأن الأمة الإسلامية قد تسلمت الراية من الأمم السابقة .

٢- **فتح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب** رضي الله عنه لفلسطين في العام الخامس عشر للهجرة عندما ركب دابته وصعد الجبل المطل على مدينة القدس فتراءت له المدينة فأخذ يكبر الله أكبر ، الله أكبر ، وسمي الجبل حتى يومنا هذا بالمكبر ، وتسلم رضي الله عنه مفاتيحها من بطريرك الروم صفرونيوس ، وكانت العهدة العمرية التي تمثل لوحة فنية في التسامح بين المسلمين والمسيحيين تدل على سماحة وعدل الإسلام .

٣- **فتح القائد صلاح الدين الأيوبي**[١] لفلسطين بعد أن كانت أسيرة لسنوات عديدة في أيدي الاحتلال الفرنجي (الصليبيين) .

ففي ٧ حزيران من عام ١٠٩٩م سار الفرنج (الصليبيون) إلى بيت المقدس ، فوقفوا أمام أبواب المدينة ، وفي الخامس عشر من تموز ١٠٩٩م ، والموافق يوم الجمعة من شهر شعبان ٤٩٢هـ هاجم العدو البلدة وأعمل السيف برجالها ونسائها وأطفالها حتى شوهدت أكوام الرؤوس ، والأيدي والأرجل في شوارع المدينة وطرقاتها[٢]، ولبث الفرنج يقتلون في المسلمين بالقدس الشريف أسبوعاً ، وقتل في المسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألف نفس منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وساداتهم وعبادهم وزهادهم ممن جاور في هذا الموضع الشريف[٣].

---

(١) ولد القائد/ صلاح الدين الأيوبي في تكريت بالعراق سنة ٥٣٠هـ وفق ١١٣٧م، وتوفي رحمه الله في دمشق بتاريخ ١٧صفر٥٨٩هـ وفق ٤مارس ١١٩٣م، عن (ابن شداد ـ سيرة صلاح الدين ص٢٥٠) .

(٢) انظر : ابن الأثير ١٠/١٩٤ .

(٣) الأنس الجليل لمجير الدين الحنبلي العُلَيْمي ١/٣٠٧ .

وقد بقيت مدينة القدس تحت سيطرة الاحتلال الفرنجي (الصليبي) حتى سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م حيث حررها البطل صلاح الدين الأيوبي بعد أن كسر شوكة الفرنج في معركة «حطين» الفاصلة ، والتي وقعت يوم السبت ٢٥ ربيع الآخر ٥٨٣هـ وفق ٤ يوليو ١١٨٧م .

وقد ذكر مجير الدين الحنبلي رواية ذات عمق بعيد الأثر ، حيث يقول : بعث شاب من دمشق برسالة إلى صلاح الدين قبل أن يتجه إلى بيت المقدس فاتحا ، يتحدث فيها مخاطباً صلاح الدين[1]:

يـا أيهـا الملـك الـذي لمعـالم الصـلبان نكّـس
جـاءت إليـك ظلامـة تسعى من البيت المقـدّس
كـل المسـاجد طهـرت وأنا على شـرفي مـدنّس

فازدادت عاطفة صلاح الدين ، واتخذ طريقه إلى بيت المقدس .

وفي يوم الأحد ١٥ رجب ٥٨٣هـ وفق ٢٠ سبتمبر ١١٨٧م بدأ حصار صلاح الدين لأسوار المدينة المقدسة وعسكر في ذات المكان الذي اقتحمها منه الصليبيون سنة ١٠٩٩م . . . وأخذ يضيق عليها الخناق حتى يجبر حاميتها الصليبية ـ البالغة ستين ألفاً ـ على التسليم صلحاً ، كي لا تتعرض مقدسات المدينة للدمار ـ وكان الصليبيون ، في المفاوضات إبان هذا الحصار ، يهددون بمعركة يائسة يدمرون فيها هذه المقدسات ـ فقالوا لصلاح الدين :

إننا إذا يئسنا من النجاة من سيوف جندك فإننا :

- سنهدم المعبد ، والقصر الملوكي ، وننقض حجارتها حتى الأساسات !

- وسنحرق الأمتعة والنفائس والكنوز والأموال الموجودة في خزائن المدينة !

- وسنهدم جامع عمر ، والصخرة المقدسة ، اللذين هما موضوع ديانتك !

---

(١) الأنس الجليل لمجير الدين الحنبلي العُلَيْمي ٣١٩/١ .

- وسنقتل ما لدينا من أسرى المسلمين المحبوسين في سجون المدينة منذ سنوات ، وعددهم خمسة آلاف أسير !

- وسنذبح نساءنا وأولادنا بأيدينا حتى لا يقعوا في أسر المسلمين !

- وبعد أن تصير المدينة المقدسة (كياناً من الرديم) ، ومدفنا واسعا سنخرج للقتال ، قتال اليائس من الحياة ، الذي لا أمل لديه في النجاة .

- فامنحنا الأمان ، نسلمك المدينة دون أن يمسسها أحد من الطرفين بسوء .

فاستجاب صلاح الدين ، ومنحهم الأمان . . . فخرج الغزاة اللاتين من المدينة بما يملكون ، وبقي فيها أبناؤها من المسلمين والنصارى الشرقيين .

وتحررت القدس في ذكرى إسراء الرسول ﷺ ، من مكة المكرمة إليها - وذلك في يوم الجمعة ٢٧ رجب سنة ٥٨٣هـ وفق ٢ أكتوبر سنة ١١٨٧م - ، وهي التي سبق أن سبحت فيها خيول الصليبيين بدماء المسلمين ، قبل تسعين عاماً ، فمنذ الفتح الإسلامي الأول على يد الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، الذي كان أول من دخل مدينة القدس فاتحاً ، مروراً بتضحيات المسلمين مع القائد المسلم (صلاح الدين الأيوبي) الذي دخلها مرة أخرى محرراً إياها من رجس الفرنج (الصليبيين) ، كانت فلسطين وقدسها ، عزيزة منيعة على الأعداء الحاقدين .

وها هو التاريخ يعيد نفسه ، لنعيش نحن أبناء هذا الجيل ، أقسى مراحل تاريخنا ، مرحلة النكبة المشؤومة ، وضعف وتفكك الأمة العربية والإسلامية ، وكيف عدا عليها الحاقدون من كل حدب وصوب ، فاستباحوا أرضها ، ونهبوا ثرواتها ، ودنَّسوا مقدساتها .

وها هي القدس المباركة يريدها المحتلون عاصمة لهم ، ويعملون على تهويدها ، وفلسطين كلها تحت احتلال يهودي مهين . . . فمن سيكون المحرر الفاتح هذه المرة ؟ . . .

من هو ذاك القائد الملهم الذي سيحرر القدس من جديد . . . لتعود قدساً وتظل . . . القدس؟

فما زالت فلسطين تنتظر فاتحاً جديداً كصلاح الدين رحمه الله .

د ـ فلسطين مهوى أفئدة المؤمنين على مر السنين :

إن أرض فلسطين المباركة مهوى أفئدة المؤمنين منذ بزوغ فجر الإسلام حيث شهد فيها الصحابة فتوحات الإسلام فكان منهم الخليفة عمر بن الخطاب الذي فتح بيت المقدس ، وقد دخلها معه آلاف الجند الذين كانوا ينتظرون قدومه لتسلم مفاتيح المدينة .

- **وكان من بين هؤلاء الصحابة الكرام :**

أبو عبيدة عامر بن الجراح قائد جيوش المسلمين .

وخالد بن الوليد سيف الله المسلول ، وشهد كذلك على العهدة العمرية .

وعمرو بن العاص شهد فتح بيت المقدس ، وشهد كذلك على العهدة العمرية .

وعبد الرحمن بن عوف أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وشهد على العهدة العمرية .

ومعاوية بن أبي سفيان شهد فتح بيت المقدس ، كما شهد على العهدة العمرية .

- **كما دخل عدد كبير من الصحابة بيت المقدس للجهاد أو للإقامة منهم :**

سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة .

وبلال بن رباح حيث رفع الأذان بصوته الندي ، فبكى الصحابة الكرام لتذكرهم لنبيهم محمد ﷺ ، حيث إن بلالاً رضي الله عنه قد امتنع عن الأذان بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام .

ومعاذ بن جبل كان له الفضل في مشورته على أبي عبيدة بن الجراح أن يطلب من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ القدوم لاستلام بيت المقدس .

وعبادة بن الصامت أول قاضٍ للإسلام في بيت المقدس ، وتوفي بها سنة ٣٤هـ ، حيث دفن في مقبرة باب الرحمة بجوار باب الرحمة .

وشداد بن أوس الأنصاري (معلم هذه الأمة) الذي توفي ببيت المقدس سنة ٥٨هـ ، وقبره معروف بالقرب من باب الرحمة .

وقد جاء ذكرهما في كتب التاريخ الإسلامية ، كما ذكرهما مصطفى أسعد اللقيمي الدمياطي في كتابه (موانح الأنس برحلتي لوادي القدس ص٨٢) فقال :

يمم مقام عبادة بن الصـــامت والشهم شداد بباب الرحمـــة
فهما الإمامان اللذان تفيئـــا من صحبة المختار أينع دوحة
شهدا المشاهد والمواقف كلها بشراهما فازا بـــأرفع رتبـــة

ويزيد بن أبي سفيان أحد قادة أحد الجيوش الإسلامية .

وأبو ذر الغفاري زار بيت المقدس وعاش فيها .

وسلمان الفارسي دخل بيت المقدس عند الفتح سنة ١٥هـ .

والزبير بن العوام أحد العشرة المبشرين بالجنة .

وسعد بن أبي وقاص أحد العشرة المبشرين بالجنة .

وأبي بن أم حرام وهو أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن ، قال عمر ﷺ ، يوم مات : اليوم مات سيد المسلمين .

وأويس القرني قال لعمر : حججت واعتمرت ، وصليت في مسجد الرسول ﷺ ، ووددت أني صليت في المسجد الأقصى ، فجهزه عمر وأتى الأقصى ، فصلى فيه .

وعياض بن عنم سكن ببيت المقـ س ، وقد أقطعه أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ﷺ جبل أبي غنيم .

وعوف بن مالك الأشجعي شهد فتح بيت المقدس .

وذو الأصابع التميمي زار بيت المقدس ، وعاش فيها ، ودفن بمقبرة باب الرحمة في بيت المقدس .

وشرحبيل بن حسنة أحد قادة أحد الجيوش الإسلامية السبع التي فتحت بيت المقدس .

والإمام عبد الرحمن الأوزاعي فقيه أهل الشام .

والإمام الليث بن سعد فقيه مصر .

والإمام الشافعي مؤسس المذهب .

والإمام سفيان الثوري إمام أهل العراق .

وعبد الله بن عباس .

وعبد الله بن عمرو بن العاص .

وعبد الله بن عمر .

وأبو نعيم المؤذن ، وهو أول من أذن في بيت المقدس .

وعمر بن عبد العزيز .

وتميم الداري ، وهو الذي بنى المنبر لرسول الله ﷺ درجتين ومقعدا ، وقبره معروف في بيت جبرين ، وهو أول حاكم إداري لمدينة القدس .

وأبو هريرة ، وغيرهم كثير ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ .

ومن الجدير بالذكر أن بلادنا فلسطين قد أنجبت عددا من العلماء الأفذاذ منهم الإمام الشافعي الذي هو غني عن التعريف ، صاحب المذهب المشهور ، الذي ولد في غزة عام ١٥٠هـ ـ ٧٦٧م ، حيث كان أبوه قد نزلها واستقر فيها ، وكان يردد في شوق إلى غزة بيتين شهيرين :

وإنّـــي لمشـــتاق إلى أرض غـــزة ... وإن خانني بعد التفـــرُّق كتمـــاني

سقى اللهُ أرضاً لو ظَفرْتُ بتُرْبـــها ... كحَّلتُ به من شدة الشوق أجفاني

والحافظ عبد الغني الجماعيلي المقدسي من جَمّاعيل قضاء نابلس وهو صاحب كتاب (الكمال في أسماء الرجال) ، والشيخ محمد السفاريني صاحب كتاب (شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد بن حنبل) ، والإمام ابن حجر العسقلاني صاحب كتاب (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) ، ومحمد ابن قدامة وكان مجاهداً مع صلاح الدين الأيوبي ، وأخوه مُوَفَّق الدين ابن قُدامة الحنبلي الجماعيلي المقدسي من علماء الفقه والحديث صاحب كتاب (المغني في الفقه الحنبلي) ، والقاضي الفاضل واسمه عبد الرحيم البيساني نسبة إلى مدينة بيسان وكان مستشارا أميناً لصلاح الدين الأيوبي حتى قال صلاح الدين في حقه (لم أفتحْ ما فتحته بقوة سيفي بل بعلم القاضي الفاضل) ، والشيخ عماد الدين الكركي الذي أصبح قاضي قضاة مصر ، والشيخ مرعي الكرمي الذي أصبح مفتياً لمصر ، والإمام الطبراني صاحب كتاب (المعجم الكبير في الحديث الشريف) ، والعلامة الشيخ عبد الغني النابلسي صاحب كتاب (ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الأحاديث) .

ومن العلماء الذين زاروا مدينة القدس خاصة وفلسطين عامة حجة الإسلام الإمام الغزالي الذي زار المدينة المقدسة في القرن الخامس الهجري ، وبقى فيها معلماً ومؤلفاً ، ومن بين المؤلفات التي كتبها هناك كتاب (إحياء علوم الدين) ، الذي قال عنه العلماء : «من لم يكن لديه كتاب الإحياء ، فهو ليس من الأحياء» ، والإمام الطرطوشي ، وأبو بكر بن العربي من الأندلس ، وأبو الحسن البصري ، وإبراهيم الجرجاني ، وعبد الله بن فيروز الديلمي ، والعز بن عبد السلام ، وابن الصلاح . . . من علماء الحديث ، . . . وغيرهم كثير .

* * *